يعطى وبيده أن يمنع[1] فالفرد خلال حياته الدنيا يعيش وينعم بناتج سعيه في إطار من الحل والحرمة ابتغاء مرضاة الله؛ بل يؤدي طواعية نوافل زيادة عما فرضه الله عليه من واجبات لينال ثواب الحياة الآخرة، وأن تربية الضمير في الفرد باعتباره الحارس المقيم داخل الفرد يضمن استمرار التوازن بين صالح الفرد في الدنيا وصالحه في الآخرة.

إذن فالضمانة الثالثة لاستمرار تطبيق نظرية المعاملات في الإسلام هو الضمير اليقظ داخل الفرد يحرضه على الخير ويصده عن الشر، ويتلاقى ذلك مع موجبات تطبيق نظرية المعاملات في الإسلام.

ونظراً لأهمية الضمير اليقظ لدى الفرد بعامة، وفي مجال التطبيق اليومي لأركان نظرية المعاملات في الإسلام ومفردات منهاجها بخاصة، فقد عمد الإسلام إلى إيقاظ هذا الضمير، والمحافظة على استمرارية هذه اليقظة بوضع المقاييس التي يحتكم إليها الفرد في الحكم على ما يصادفه في حياته اليومية من أمور تتعلق بمعاملاته مع الله، أو مع الأفراد أو حتى نفسه.

فالشريعة الإسلامية عالجت منذ فرضها الله سبحانه وتعالى كل أحوال الفرد، منذ خلقه جنيناً في رحم أمه؛ بل وقبل ذلك، وحتى مماته، بل وبعد ذلك وبهذه الخاصية فما جاء في الشريعة الإسلامية من قواعد هي المقياس الذي يمكن للفرد الحكم بموجبه على ما يعرض له من تصرفات.

وإذا ما عالجنا التوازن بين صالح الفرد في حياته الدنيا وحياته الآخرة في

---

(١) سورة آل عمران الآية رقم ٢٦ ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾

إطار آخر سوف نلمح توازنا بين الواقعية والمثالية، وذلك باعتبار أن الحياة الدنيا هي الواقع الذي نحياه، والحياة الآخرة هي المثالية التي نأمل بلوغها، وفي مسيرة الإنسان التي تبدأ من الواقع وتستشرف المثال نجد أن هذه المسيرة تفرض حتماً منهجاً أخلاقياً يقيم سياجاً يحفظ مسيرة الفرد، ويؤمن سلامة اتجاهه، ويمنعه من الميل ذات يمين أو يسار بما يحفظ عليه توازنه وبالتالي تحقيق صالحه.

ولقد أورد القرآن منهجاً أخلاقياً مشفوعاً بقواعد سلوكية كافية تماماً لبناء الإنسان الذي يقيم قواعد وأصول نظرية المعاملات في الإسلام، حافظاً للتوازنات التي تؤدى إلى تحقيق نتائجها. ويبدأ المنهج الأخلاقي في الإسلام بتحرير عقل الإنسان من الخضوع لأي سلطان، أو قوة غير المولى سبحانه وتعالى، يتأتى ذلك بنبذ الشرك[1]، وإقامة التوحيد، ثم يثنى بوجوب طاعة الوالدين والإحسان إليهما[2] في تثبيت عبقري للمنهج الأخلاقي، وذلك أن الفرد إذا لم يؤدى للوالدين حقهما فلا ينتظر منه أداء حق قد يكون للآخرين، وحيث أن البر بالوالدين والإحسان إليهما بجانب كونه واجب فرضه الله، وأفرد القرآن الكريم آيات عديدة في شأن طاعة الوالدين والإحسان إليهما؛ فإنه يمثل قيمة أخلاقية هي الوفاء ورد الجميل، إذ أن الإحسان إلى الوالدين هو رد مباشر لما قام به الوالدان تجاه أولادهما في رعايتهم ومدهم بأسباب الحياة من مأكل وملبس وتعليم وعلاج وتوفير الحماية لهم عندما كانوا لا يملكون حماية أنفسهم. وقيمة

---

(١) سورة لقمان الآية رقم ١٣ ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

(٢) سورة لقمان الآية رقم ١٤ ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾.

الاعتراف بالجميل وضرورة رده وقيمة الوفاء لأصحاب الفضل إذا ما عولجت في المنهج الأخلاقي الذي شرعه الإسلام من خلال النسبة للوالدين فإنها تمثل ترسيخاً وتعليماً لواحدة من مفردات المنهج الأخلاقي يسحب أثره على التعامل مع الكافة، فالمنهج إذا ما رسخ في النفس لا يفرق في التطبيق بين الأفراد أو المواقف.

ويستمر القرآن الكريم في تعديد القيم الأخلاقية والقواعد السلوكية التي ينبغي أن يلتزم بها الفرد في إعلاء قيمة الكرامة بألا يصعر خده للناس[1]، وتدعيم قيمة التواضع في ألا يمشي في الأرض مرحاً؛ ولا يضرب الأرض في خطوة، وأن يغض الإنسان بصره عن عيوب الآخرين، أو التفرس فيهم، وخصوصاً المرأة، وأن يغض أيضاً من صوته[2] ...الخ من سلوكيات وأخلاقيات التي إذا صفت جنباً إلى جنب لصاغت منهجاً أخلاقياً، وقواعد سلوكية تجعل الإنسان معداً وصالحاً لإقامة نظرية المعاملات في الإسلام.

وبذلك تكون الضمانة الرابعة لاستمرار تطبيق نظرية المعاملات في الإسلام هي المنهج الأخلاقي، والقواعد السلوكية التي شرعها الإسلام ليتحلى بها الفرد في معاملاته، والتي تمثل سياجاً يحول بين الفرد وما يبعده عن مقتضيات تطبيق نظرية المعاملات في الإسلام.

---

(١) سورة لقمان الآية رقم ١٨ ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾.

(٢) سورة لقمان الآية رقم ١٩ ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾.